شواهد المحبة في القرآن الكريم وأثرها في تقوية الفرد والمجتمع

سراج محمد محمود

Himrareb@yahoo.com

جامعة الملايا

أكاديمية العلوم الإسلامية

ملخص

يهدف هذا البحث ويشير للفائدة المرتجاة من شواهد المحبة في القرآن الكريم، وتأثيرها في تقوية الإيمان لدى الفرد مما ينعكس على المجتمع أيضاً, وبالتالي، فإنَّ دراسة تلك الشواهد ستكون على هُدى علماء التفسير والمختصين بعلوم القرآن مما يسهل الرجوع إليها. فضلاً عن ذلك، فإنَّ الدراسة ستركز على إبراز هذه الشواهد بحيث تستثير النفوس من أجل التأثر بهذه الشواهد، فتكون حاضرة في القلب، وتجعل اللسان رطباً بترددها. ولا شكَّ أنَّ ذلك يثمر فضيلة التشبه بالقائلين بتلك الأقوال من الملائكة، والمرسلين والنبيين، وصالحي المؤمنين، فإنَّ هذه الأقوال تشمل مجالات متعددة: الدعاء، الأذكار، الحوارات، وغيرها؛ فيجد كل ذي شأن (الدعاة، المفكرون، المسلم العادي،...) ما يعينه، كما أنَّ في إبراز هذه الشواهد القرآنية إتاحة الفرصة للتعرف على طيف واسع من أقوال المفسرين والعلماء حول شواهد المحبة في مكان واحد. ولتحقيق أهداف البحث، فإنَّ الدراسة ستنتهج المنهج الوصفي والاستقرائي، والورقة تتكوَّن من فصلين وأربع مباحث، ثمَّ الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

مقدمة

الحمد لله الذي من على عباده المؤمنين بدين يجمع كلمتهم ويحد صفوفهم وأوجب عليهم أن يكونوا إخوانا للحق ناصرين، وفي سبيل إقامته وإزالة مايحول دون تحقيقه متعاونين، وأشهد أن لاإله إلا الله ولي الصالحين، إلى هنا وإلى هـ الأولين والآخرين وخالق الناس أجمعين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الذي جمع الله به بعد الفرقة وألف به بعد الخلاف ونصر به بعد الذلة فصلواة ربي وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

إن الحب له دوره وسلطانه على الأفراد والجماعات، وله في التاريخ قصصٌ وعِبَرٌ لا تُنسى، وهوداء ودواء. والحبَّ شيءٌ عجيب يودعه اللَّه قلوبَ خَلْقِهِ فتسعد به نُفُوسُهم، وتهنأ به أرواحهم، وهوعلامةٌ على سلامة الفطرة. وكلنا يعرف قصص المحبين في الشعر العربي، وكيف أخذ بهم الحب حتى ذُهِلوا عن مطلوبات أنفسهم وضرورياتها. فمنهم المجنون ومنهم الصريع ومنهم القتيل.

وهذا هو– للأسف – الذي يتبادر إلى الذهن عندما يتحدث الناس عن الحب، فلا يطوف بخاطرهم إلا تلك العلاقة التي تنشأ بين الرجل والمرأة، وسواء أكانت علاقة بريئة عذرية كما يسمونها أوكانت علاقة آثمة. حتى اخترعوا لها يوما وجعلوه عيدا يحتفلون به في كل عام وأسموه عيد المحبين أو"الهيلوين"كما يقولون. والذي يحِزُّ في النفس ويدمي القلب أنّ المسلمين – وخاصة الشباب منهم – قلدوهم وتابعوهم وفجَروا كما فجَر أولئك. وصدق الصادق الذي لا ينطق عن الهوى (صلى الله عليه وسلم): "لَتَتَّبِعُنَّ

سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوسَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ[1]"

الفصل الأول: دور المحبة في تقوية الروابط الاجتماعية

المحبة في الله . أعظم مقامات الأخوة أن تكون في الله ولله، لا لنيل منصب، ولا لتحصيل منفعة عاجلة أوآجلة، ولا من أجل كسب مادي، أوغير ذلك. ومن كانت محبته في الله وأخوته في الله فقد بلغ الغاية، وليحذر أن يشوبها شيءٌ من حظوظ الدنيا فيفسدها. ومن كانت محبته في الله فليبشر بموعود الله ونجاته من هول الموقف يوم القيامة، ودخوله في ظل عرش الجبار جل جلاله . فقد روى أبوهريرة–رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أُظلهم في ظلي يوم لاظل إلا ظلي)[2]. وعن معاذ بن جبل–رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ)[3] . وعن أبي هريرة–رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قا: أريد أخاً لي في هذه القرية . قال: هل لك عليه من نعمة تربها[4]؟ قال: لا . غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه، بل إنَّ الكائناتِ من حولنا لَتَشْعُرُ وتُحِبُّ وتتأثر.

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم ٦٧٧٥

[2] رواه مسلم(٢٥٦٦)، وأحمد(٧١٩٠)، ومالك(١٧٧٦)

[3] رواه أحمد(٢١٥٢٥) واللفظ له، ومالك(١٧٧٩) . قال ابن عبد البر: وفي هذا الحديث لقاء أبي إدريس الخولاني لمعاذ بن جبل وسماعه منه، وهوإسناد صحيح . (التمهيد ١٢٥/٢١).

[4] تربها: أي تحفظها وتراعيها وتربيها، كما يربي الرجل ولده. (لسان العرب: ٤٠١/١) مادة: ربب .

حكى الشيخ عائض القرني[٥] في احدى دروسه أن أعرابيا كان له فرس يحبه ويرعاه، وكان يخلط له الشعير بالسكر، فأحبه الفرسُ، فلما مرض الأعرابي أضرب الفرسُ عن الطعام ووقف عند باب الحجرة التي بها صاحبه ولم يبرحه، فلما مات صاحبه انطلق الفرس إلى أحد الروابي فوق الجبل وألقى بنفسه ليلقى مصرعه. وفي مسند الإمام أحمد[٦] عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلَّا يُؤْذَنُ لَهُ مَعَ كُلِّ فَجْرٍ يَدْعُوبِدَعْوَتَيْنِ يَقُولُ اللَّهُمَّ خَوَّلْتَنِي مَنْ خَوَّلْتَنِي مِنْ بَنِي آدَمَ فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ أَوأَحَبَّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ ".

وكلنا يذكر قصة جذع النخل وبكاءه حبًّا لرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتياقًا إليه. وقد قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أُحُدٍ:"هذا جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه ". وأمرٌ هذا شأنه؛ لابد وأن القران قد

---

٥ عائض بن عبدالله القرني داعية إسلامي من السعودية،وصاحب كتاب لا تحزن الذي حقق نسبة مبيعات عالية وهوصاحب منهج وسطي لأهل السنة والجماعة. من مواليد بلاد بالقرن عام ١٣٧٩هـ، ودرس الابتدائية في مدرسة آل سلمان، ثم درس المتوسطة في المعهد العلمي بالرياض، ودرس الثانوية في المعهد العلمي بأبها، وتخرج من كلية أصول الدين بأبها،وحضر الماجستير في رسالة بعنوان: (كتاب البدعة وأثرها في الدراية والرواية)، ثم حضر الدكتوراه في (تحقيق المفهِم على مختصر صحيح مسلم).وكان إمام وخطيب جامع أبي بكر الصديق بأبها. له أكثر من ثمانمائة شريط كاسيت إسلامي في الخطب والدروس والمحاضرات والأمسيات الشعرية والندوات الأدبية .

٦ وُلد أحمد بن حنبل سنة ١٦٤هـ في بغداد ونشأ فيها يتيماً، وقد كانت بغداد في ذلك العصر حاضرة العالم الإسلامي، تزخر بأنواع المعارف والفنون المختلفة، وكانت أسرة أحمد بن حنبل توجهه إلى طلب العلم، وفي سنة ١٧٩هـ بدأ ابن حنبل يتَّجه إلى الحديث النبوي، فبدأ يطلبه في بغداد عند شيخه هُشَيم بن بشير الواسطي حتى توفي سنة ١٨٣هـ، فظل في بغداد يطلب الحديث حتى سنة ١٨٦هـ، ثم بدأ برحلاته في طلب الحديث، فرحل إلى العراق والحجاز وتهامة واليمن، وأخذ عن كثير من العلماء والمحدثين، وعندما بلغ أربعين عاماً في سنة ٢٠٤هـ جلس للتحديث والإفتاء في بغداد، وكان الناس يجتمعون على درسه حتى يبلغ عددهم قرابة خمسة آلاف، اشتُهر ابن حنبل بصبره على المحنة التي وقعت به والتي عُرفت باسم "فتنة خلق القرآن"، وهي فتنة وقعت في العصر العباسي في عهد الخليفة المأمون، ثم المعتصم والواثق من بعده، إذ اعتقد هؤلاء الخلفاء أن القرآن مخلوق محدَث، وهورأي المعتزلة، ولكن ابن حنبل وغيره من العلماء خالفوا ذلك، فحُبس ابن حنبل وعُذب، ثم أُخرج من السجن وعاد إلى التحديث والتدريس، وفي عهد الواثق مُنع من الاجتماع بالناس، فلما تولى المتوكل الحكمَ أنهى تلك الفتنة إنهاءً كاملاً. وفي شهر ربيع الأول سنة ٢٤١هـ، مرض أحمد بن حنبل ثم مات، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة.

عالجه وأبان حدّه، وأوضح صحيحه وضده. فالقران كما يستثير الإنسانَ ذا اللُّب، فهوكذلك يستحث القلوب للحب.

يقول رمضان البوطي[٧] (رحمه الله):"ولقد تأملتُ في سببِ إعراض الكاتبين والباحثين عمّا يقُولُه القُرآنُ عن الحبِّ، فلم أعْثُر إلا على سببٍ واحد؛ وهوأنّ القرْان يوجّه إلى حُبّ ما لا يستهوي النُّفوسُ حُبَّه، ويُحذّرها من حُبّ ما يصْعُبُ على النُّفوسِ الإعراضُ عنْهُ".

المبحث الأول: التعريف بالمحبة لغة واصطلاحا

لنتعرف على معنى الحب والمحبة، كما جاءت في قواميس اللغة وكتابات أهل العلم، ففي اللغة الحبُّ الوِدَادُ، وهونقيضُ البغْضِ، وأصل هذه المادة يدلُّ على اللُّزوم وَالثَّبات، واشتقاقه من أحَبَّه إذا لزمه، تقول: أحبَبْتُ الشَّيْء فَأنا مُحِبٌّ وَهومُحَبٌّ. و"الحِبُّ"للمحبوب من الذكور و"الحِبَّةُ"للأنثى. يقال أسامة حِبُّ رسولِ الله، وعائشةُ حِبَّةُ رسولِ الله. نعم، ويقال: حَبَّذَا الأَمْرُ أَي هوحَبِيبٌ. قال الأزهري: والأَصل

---

٧ محمد سعيد رمضان البوطي (١٣٤٧ – ١٤٣٤ هـ / ١٩٢٩ – ٢٠١٣ م) عالم سوري متخصص في العلوم الإسلامية، ومن المرجعيات الدينية الهامة على مستوى العالم الإسلامي، حظي باحترام كبير من قبل العديد من كبار العلماء في العالم الإسلامي،[١] اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في دورتها الثامنة عام ٢٠٠٤ ليكون «شخصية العالم الإسلامي»، باعتباره «شخصيةً جمعت تحقيقَ العلماء وشهرةَ الأعلام، وصاحبَ فكرٍ موسوعيّ»،[٢] واختاره المركز الإسلامي الملكي للدراسات الاستراتيجية في الأردن في المركز ٢٧ ضمن قائمة أكثر ٥٠٠ شخصية إسلامية تأثيراً في العالم لعام ٢٠١٢،[١] ويُعتبر ممن يمثلون التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة وفق منهج الأشاعرة.[٣] ترك البوطي أكثر من ستين كتاباً في علوم الشريعة، والآداب، والتصوف، والفلسفة، والاجتماع، ومشكلات الحضارة، كان لها أثرٌ كبيرٌ على مستوى العالم الإسلامي.[٢] في فترة أحداث سوريا ٢٠١١–٢٠١٣ أصبحت مكانة البوطي في العالم الإسلامي مثاراً للجدل والخلاف بسبب موقفه الرافض للثورة السورية، ودعمه لنظام الرئيس بشار الأسد، انتهت بتعرّضه للاغتيال يوم ٢١ مارس ٢٠١٣، الذي اتفقت المعارضة والنظام السوري على إدانته، وأثار موجة تنديد كبيرة على مستوى العالم،[٤] وقد اتهمت المعارضة النظامَ بتدبير الاغتيال بعد ورود أنباء عن عزم البوطي على الانشقاق وتغيير موقفه من الثورة السورية، والهجوم على النظام.[٥] بينما اتّهم النظام السوري المعارضةَ باغتياله واصفةً إياهم "بأصحاب الفكر الظلامي التكفيري".[٦]

"حَبُبَ ذَا"فأَدْغِمَتْ إِحْدَى الباءَين في الأُخْرى وشُدّدتْ، و"ذَا"إِشارةٌ إِلى ما يَقْرُب منك. ومن لطائف الفيروز آبادي في القاموس أنَّ خمسةً وثلاثين صاحبيا اسمهم "حبيب"[٨].

هذا تعريف الكلمة في اللغة، أمّا في الاصطلاح: فقد عرَّف الراغب: المحبَّة بأنّها ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا. وقال الهروي: المحبَّة: تعلق القلب بين الهمة والأنس، فِي البَذْل وَالمنْع على الإِفْرَاد. وهي عند أبي يزيد البسطامي:"هي استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك". الصحيح: أنه لا تعريف له؛ لأنه شيءٌ شعوريٌ يقوم في القلب، لا يمكن تحديده بألفاظ مطلقاً. فليس له تعريف إلا لفظه فقط. نعم، له مترادفات، وكثير ممن عرَّفه إنما نظر إلى آثاره، وهنالك فوائد لهذه المحبة يجنيها المتحابون في الله.

أولاً: {الإستظلال في ظل عرش الرحمن}

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلاّ ظلّي[٩]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى ":"فقوله: أين المتحابون بجلال الله ؟ تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب فيه، وبذلك يكونون حافظين لحدوده، دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الإيمان في قلوبهم "وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظلّ إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه[١٠]

[٨] القاموس المحيط، باب الباء، فصل الحاء: الحب الوداد

[٩] رواه مسلم

[١٠] متفق عليه

ثانيا: {التلذذ بطعم الإيمان}

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سرّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبّ المرء لا يحبه إلا لله[١١]" وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أ يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار[١٢] "قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى":"أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ هذه الثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان، لأنّ وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له، فمن أحبّ شيئا أواشتهاه، إذا حصل له مراده،فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هوالمحبوب أوالمشتهى ... فحلاوة الإيمان، تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها "فتكميلها" أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحبّ، بل لا بدّ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما و"تفريعها" أن يحب المرء لا يحبه إلا لله و"دفع ضدها" أن يكره ضدّ الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار"

ثالثا: {قربهم من الله تعالى ومجلسهم منه يوم القيامة}

عن أبي مالك الأشعري قال: "كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه هذه الآية:"يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم"(المائدة ١٠١) قال: فنحن نسأله إذ قال: ٣ إنّ لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة، قال: وفي ناحية القوم أعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه، ثم قال: حدثنا يا رسول الله عنهم من هم ؟ قال:

---

[١١] (رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبي)

[١٢] (متفق عليه)

فرأيت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم البِشر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هم عباد من عباد الله من بلدان شتى، وقبائل شتى من شعوب القبائل لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها، ولا دنيا يتباذلون بها، يتحابون بروح الله، يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الناس، ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون[١٣]"

المبحث الثاني:شواهد المحبة وآثارها

وسيكون الحديث في هذا المبحث عن شواهد المحبة أوالحب وأثر ذلك وثمرته، ومن ثم كيفية تحقيق ذلك. وسنناقش هذه الشواهد في محورين:

[١٣] (رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبي)

١- محبة الله للعبد

٢ – محبة العبد لله

المحور الأول: محبة الله للعبد

هنا نقول بداية: إن الواجب إثبات صفة الحب لله على ما يليق به، سبحانه تعالى تعظيما وتنزيهاً. فهوسبحانه كما أن له إحساناً يليق به، وضحكا يليق به، ومكرا يليق به؛ كذلك له حبٌ وبغضٌ على الوجه اللائق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى. ولا يستدعي الأمر بالضرورة تأويل الحب بأيٍ من المعاني التي تتعلق به علاقة الدليل بالمدلول؛ كأن نقول: أن حب الله هورضاءه أومغفرته أوغير ذلك. فالواجب أن نؤمن بصفة المحبة، وببقية أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى من غير أن نكيف أونمثل أونعطل.

فالمحبة صفة حقيقة، وكما ثبتت بالكتاب فقد ثبتت بالسنة. ففي البخاري براوية سلمة بن الأكوع يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ أَوقَالَ لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوقَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ". قال سلمة: فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ". وفي الحديث الصحيح المشهور: "وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ"[١٤]

أقول: عندما يتحدث المولى سبحانه وتعالى عن محبته لخلقه إنما تجيء مسنودةً إلى الطائعين من عباده، الذين التزموا منهجه ورضوا بعبوديتهم له سبحانه وتعالى. قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: "عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ **وَرَحْمَتِي** وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ** يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ". ولاشك أن الحبَّ رحمة؛ فهي بذلك مخصوصة للعباد وليس للعبيد بالمفهوم القرآني.

[١٤] صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، حديث رقم ٦٠٢١

فمن هم الذين يشملهم هذا الحب، ويدخلون تحت هذه الرحمة الواسعة. وما هي ثمرة هذه المحبة الإلهية عليهم، وكيف يحافظون عليها ؟ وهل يمكن للإنسان أن يستشف محبة الله له ؟

بداية أقول: من خلال تتبعي للآيات التي تحدثت عن محبة المولى سبحانه وتعالى للإنسان وجدتُ أنها ترتبط بأصحاب الكمالات منهم– إن جاز التعبير. فالله يحب المتقين، والله يحب المقسطين، والله يحب المحسنين، والله يحب الصابرين. ولم أقف على آية جاء فيها يحب المؤمنين !وقد وردت آية واحدة فقط "مع المؤمنين"؛ في قوله سبحانه وتعالى: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوخَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوكَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ **مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**} سورة الأنفال: ١٩

وأقول: لعل السبب – والله أعلم – أنّ أصحاب الكمالات هؤلاء أتوا بالحد الزائد على مجرد الإيمان بأركانه المعروفة؛ التي جاءت في حديث جبريل. فهم قاموا بالفرائض على وجهها وزادوا عليها بالنوافل محبة للآمر بها. "وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ". وقد مدح المولى جل جلاله سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنّه يقوم بأمر ربه وخالقه على الوجه الأتم الأكمل والزائد على مجرد أداء التكليف. قال تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ". فماذا كانت العاقبة ؟ قال تعالى: "قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ".

ومن ثمرات محبة الله لعباده:

١– إن الله لا يعذب أحبابه:

وذلك واضح في رد المولى سبحانه وتعالى على مزاعم اليهود والنصارى أنهم أحباب الله. قال تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ"سورة البقرة: {١٢٤}.

٢– أن يحبُّهُ النَّاس:

يقول تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا"سورة مريم الآية{٩٦}.

قال ابن عباس: حبا، وقال قتادة: في قلوب أهل الإيمان[١٥]. وفي لسان العرب: "الوَدُودُ في أَسماءِ الله عز وجل المحبُّ لعباده"[١٦].

وأوضح آية على أثر محبة الله لعبده قوله سبحانه وتعالى عن سيدنا موسى عليه السلام: "وألقَيْتُ عَلَيْكَ مَحبةً مِنّي"سورة طه: الآية ٣٩. يقول الطبري إن الأولى بالصواب أن الله حبَّبَ سيدنا موسى عليه السلام إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنَّته. وحبَّبهُ إلى فرعون؛ حتى كفّ عنه شرّه. وعند الطبري نفسه أن ابن عباس يقول: حببتك إلى عبادي؛ أي ليست مقتصرة على فرعون وامرأته[١٧].

وفي السنة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ"[١٨].

٣– يحفظه ويدافع عنه ويستجيب له

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي

---

[١٥] تفسير ابن كثير: سورة مريم ٩٦

[١٦] (ودد): لسان العرب حرف الدال فصل الواو

[١٧] تفسير الطبري ج

[١٨] صحيح البخاري: كتاب بدأ الخلق / باب ذكر الملائكة حديث رقم٢٩٧٠

يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[١٩].

٤- تعجيل العقوبة في الدنيا

وهذه قد تبدوغريبة، إذ كيف يكون إيقاع العقوبة من المحبة؟ واستنبط ذلك بعض المشايخ من قصة تعجيل المولى سبحانه وتعالى عقوبة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. عجل لهم بالعقوبة مع الإضراب عن المنافقين، الذين قال عنهم: "وقعد الذين كذبوا الله ورسوله". ويرون أن الهجر الذي تعرض له أولئك النفر دليل على المحبة؛ حتى يلتفتوا ويتوبوا عن قريب.

وأقول: لعلهم أنظروا إلى قوله تعالي في الآية التي جاءت بعد قصة التوبة عن هؤلاء الثلاثة؛ في قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)". (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)؛ فلولم يكن المولى سبحانه وتعالى يحب الصادقين ما أمر أولئك النفر بأن يكونوا معهم. والصادقون من هم في وقت التنزل ؟ هم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وعند الترمذي عن أنس رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ **وإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ** قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ"[٢٠].

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ سورة الحج: {٣٨}

علامات محبة اللَّه للعبد:

ونتسآل هل من إمارات أودلائل يمكن للإنسان أن يستشف منها أن الله يحبه؟

[١٩] صحيح البخاري: كتاب الرقاق / باب التواضع حديث رقم: ٦٠٢١

[٢٠] سنن الترمذي كتاب الوهد عن رسول الله/ ما جاء في الصبر رقم وقال حديث حسن غريب.٢٣٢٠

أقول –وبالله التوفيق: نعم، إن لهذه المحبة علامات، هي كالبُشرى العاجلة للمؤمن؛ ليطمئن قلبه، وتسعد بها نفسه. فما أسعد من أكرمه الله بقربه وبحبه، ويا سعادة من كانت فيه هذه العلامات أوبعضها.

ويمكن الإشارة إلى بعضٍ منها، مع استصحاب صلاح الفرد واستقامته، والا يكون الأمر استدراجا.

١- من علامات محبة الله لعبده أن يرزقه مالاً وعلماً. فبالعلم يستطيع أن يوجه هذا المال في وجوهه ويصرفه في مصارفه، وبالعلم ينال الأجر عند انعقاد نيته على عمل معين، ولولم يتمكن من إتيان ذلك العمل. فالمال بيد الجاهل نقمة ووبال، وهوبيد العالم نعمة ورحمة للعباد. ودليل ذلك قارون وما كان له من مالٍ على جهل فيه؛ فكان عاقبته أن خُسِف به وبمالِهِ. وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَيَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"[٢١].

٢- تدبير الله للعبد

من ضمن العلامات كذلك: حسن تدبير الله للعبد، وحسن تربية الله لعبده منذ صغره. فيكون دائما موفقا، لا يطرق باباً إلا ويُفتحُ له، ولا يتعسر عليه أمر إلا ويكون التيسير حليفه بعد حين.

٣- من علامات محبة الله توفيق العبد لتعلم القرآن.

[٢١] صحيح البخاري كتاب العلم / بَاب الِاغْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ حديث رقم ٧١. وصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين:/ باب فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ وَيُعَلِّمُهُ وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً حديث رقم١٩٣٣

عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ "٢٢.

هذا هوالمشهور وعند أحمد والدارمي تقديم وتأخير: "إن خيركم من علم القرآن أوتعلمه"٢٣.

٤- محبة الخلق له الحديث الذي ذكر سابقا؛ "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ "، وفيه: "ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ".

٥- توفيق العبد وإعانته على الطاعة

المحور الثاني: حب العبد لله

لوأن إنساناً قال لك: أنا أحب الله, وأطاع مخلوقاً, وعصى ربه, فهوكاذب قولاً واحداً, لو أحبه لأطاعه:

تَعْصِي الإله وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا محالٌ في القياس بديعُ

لَوكانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ إنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ[٢٤]

فكل أخ كريم, حدثته نفسه أنه يحب الله, فليقل لها: أين الدليل؟ أقوى دليل جاء به القرآن: اتباع سنة النبي. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران الآية:٣١] فعلامة محبة الله جل جلاله: اتباع سنة نبيه.

من إشارات القرآن الكريم:

---

[٢٢]صحيح البخاري كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ حديث رقم ٤٦٣٩

[٢٣]مسند أحمد: مسند العشرة/ مسند عثمان حديث رقم٤١٢. سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن /باب فضل من قرأ القرآن حديث ٣٣٣٨

[٢٤]دواوين الشعر العربي على مر العصور ج ٩ ص ٢٤٥

وتوجد في القرآن الكريم إشارات رائعة جداً. فالله عز وجل يقول: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة القصص الآية:٥٠] قال علماء التفسير: استجابة الإنسان لرسول الله, هي عين استجابته لله. فمن استجاب لسنة النبي, فهو قطعاً استجاب لله عز وجل, والدليل: هذه الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة القصص الآية:٥٠] وفي آية ثانية: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء الآية:٨٠] وفي آية ثالثة: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة الآية:٦٢] بضمير المفرد, بحسب اللغة: أحق أن يرضوهما. جاء في الآية: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة الآية:٦٢]

بضمير المفرد. فقال العلماء: إرضاء رسول الله عين إرضاء الله, وإرضاء الله عين إرضاء رسول الله.

وفي آية رابعة ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [سورة آل عمران الآية: 31{قل} [أي: للكفَّار] {إن كنتم تحبون الله} . وقف النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على قريشٍ وهم يسجدون للأصنام، فقال: يا معشر قريش، واللَّهِ لقد خالفتم ملَّة أبيكم إبراهيم، فقالت قريش: إنَّما نعبد هذه حبّاً لله ليقرِّبونا إلى الله، فأنزل الله تعالى: {قل} يا محمد {إن كنتم تحبون الله} وتعبدون الأصنام لتقرِّبكم إليه {فاتبعوني يحببكم الله} فأنا رسوله إليكم، وحجَّته عليكم، ومعنى محبَّة العبد لله سبحانه إرادته طاعته وإيثاره أمره، ومعنى محبَّة الله العبد إرادته لثوابه وعفوه عنه وإنعامه عليه[٢٥] .

الفصل الثاني: شواهد المحبة في القرآن الكريم

المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في ذكر المحبة والمحبوبين

[٢٥] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ١ ص ٧٨ المؤلف: أبومحمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، عدد الأجزاء: ٥

وإذا تحدثنا عن أساليب القرآن الكريم وعدد المرات اللتي وردت فيها كلمة الحب بصيغها وأساليبها المختلفة في ذكر المحبوبين كثيرة ، لكن هنا؛ نشير إلى بعض منها فنقول:

١- وردت بصيغة الإسم أربعُ مرات؛ ثلاثُ مرات بلفظة "حُبًّا"نكرة بدون التعريف. وذلك في البقرة ١٦٥، ويوسف ٣٠، وسورة الفجر الآية ٢٠. وجاءت اسما كذلك في قوله تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام:"وألقيتُ عليك محبةً منّي". طه الآية ٣٣

٢- وأكثر ما جاء تصريف الكلمة في صورة الفعل المضارع مقرونة بلفظة الجلالة "الله"؛ مثبتة نحو: والله يحب، إنَّ الله يحب، أومنفية: والله لا يحب، وإنَّ الله لا يحب. وهي في مجموعها تقارب الأربعين مرة.

مع ملاحظة أن ورود هذا الفعل منفيا يجيء فقط مع الضمير "إنَّه"، ولم أجده مقترنا مع الاسم الظاهر "الله".

٣- وجاء الفعل المضارع "يحب"مخاطبا للجماعة الحاضرة أوالغائبة؛ "تحبون"و"يحبون"في أربعة عشر موضعا. منها موضع واحد اجتمع فيه النفي والإثبات؛ وذلك في قوله تعالى في الآية ١١٩ من سورة "آل عمران": "ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ".

٤- وذُكر الفعل مرةً واحدةً فقط بصيغة الماضي؛ في قوله سبحانه: "واعلموا أن فيكم رسول الله لويطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان ". الحجرات- الآية ٧

٥- وجاء أمر المحبة مستفهما عنه مرتان في قوله تعالى: "ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ"الآية ٢٢ سورة النور. وفي الحجرات: ١٢، قوله تعالى:"أَيُحِبُّ اَحَدُكُمْ أنْ يَأَكُلَ لَحْمَ أخِيْهِ مَيِّتاً فَكَرِهْتُمُوه".

وبهذا فإنَّ مجموع تصريفات "يحب"في القرآن قاربت الستين موضعا. وقبل أن ندلف إلى أقوال المفسرين في شواهد وصفات وقرائن المحبة، أشير إلى لطيفة عن الشيخ أبي إسحق الحويني[٢٦]، وقد استوقفه هذا التأمل؛ أن المولى سبحانه وتعالى لم يقل: "والله يكره"، أو"والله يبغض"المنافقين اوالكافرين أوالفاسقين إلى غير ذلك، وإنما جاء بذكر كلمة المحبة منفية فقال: "والله لا يحب"أو"إنَّ الله لا يحب". ثم علل أن كلمة يكره لم تأتي مسندا إلى الله سبحانه وتعالى؛ ذلك أن صيغة "لا يحب"أبلغ في التعبير من "يكره"؛ فَذِكرُ الحُبِّ حتى في طريق نفيه يهيج عليه ويُذكِّرُ به. والله يذَكّرُ هنا بالنعمة؛ فلما يذكر (لا يحب) فهذا يهيج على الحب بخلاف ما إذا قيل: يكره. انتهى كلامه بارك الله فيه.

أقول: ومثل ذلك مضطرد في القرآن؛ إذ لم يأتِ الشَّرُّ منسوبا إليه سبحانه وتعالى إلا من باب المشاكلة. وفي رواية عن حذيفة بن اليمان في المستدرك كتاب التفسير قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "والشر ليس إليك"، وهوفي تفسير قوله سبحانه وتعالى: "عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودَا"[٢٧].

{وَأَنْفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة:١٩٥] {أي يريد بهم الخيرَ}[٢٨] {إن الله يحب أهل الإخلاص والإحسان}[٢٩] فيه ثلاثة تأويلات:

---

٢٦ أبي إسحاق الحويني: حجازي محمد شريف المشهور بأبي إسحاق الحويني. ولد عام ١٣٧٥ هجريه. بدأ طلب العلم وهوفي الحادية عشر من عمره وحضر دروس الشيخ محمد نجيب المطيعي في الفقه الشافعي. تخرج في كلية الألسن قسم الأسباني وكان الأول على دفعته كل الأعوام عدا العام الأخير كان الثاني . رابط في مكتبة المصطفي مدة طويلة للاجتهاد في طلب العلم وكان يطلبه نهارا ويعمل ليلا لينفق علي نفسه . سافر للأردن لطلب العلم علي يد الشيخ الألباني رحمه الله وهو معدود من أوائل طلبته . مدحه الشيخ الألباني حينما سئل عمن يخلفه في المنهج العلمي فبدأ بالشيخ مقبل بن هادي ثم بالشيخ الحويني .

[٢٧] المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل ٣٣٤١

٢٨ تفسير أبوالسعود ج١ ص٢٦٠ المؤلف: أبوالسعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)

أحدها: أنه عنى به الإحسان في آداء الفرائض، وهوقول بعض الصحابة .

والثاني: وأحسنوا الظن بالقَدَرِ، وهوقول عكرمة .

والثالث: عُودُوا بالإحسان على مَنْ ليس بيده شيء، وهذا قول زيد بن أسلم . تفسير الماوردي[٣٠]:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة:٢٢٢] قال أبوجعفر[٣١]: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال:"إنّ الله يحب التوابين من الذنوب، ويحب المتطهرين بالماء للصلاة". لأن ذلك هو الأغلب من ظاهر معانيه.

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوكُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران:١٥٩] عليه تفسير الجلالين[٣٢] {إِنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين} عليه تعالى فينصُرهم ويُرشِدهم إلى ما فيه خيرُهم وصلاحُهم تفسير أبوالسعود[٣٣].

---

[٢٩] التفسير الميسر: ج١ص٢٠٩ المؤلف: مجموعة من العلماء – عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.عدد الأجزاء: ١

٣٠تفسير الماوردي: ج١ص١٣٩ (النكت والعيون). المؤلف: أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)

٣١ المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبوجعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الكتاب: جامع البيان في تأويل القرآن ج٤، ص٣٩٦

٣٢ الكتاب: تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ج١ص٤٥٩.

٣٣ تفسير أبوالسعود ج١ص٤٨٢ ترجم له ص ١٣

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة:١٣] تعليلٌ للأمر وحثٌّ على الامتثال به، وتنبيهٌ على أن العفوعلى الإطلاقِ من باب الإحسان . تفسير أبوالسعود[٣٤]

{إِنَّ الله يُحِبُّ المحسنين} تعليل للأمر بالصفح وحث عليه وتنبيه على أن العفوعن الكافر الخائن إحسان فضلاً عن العفوعن غيره . تفسير القشيري[٣٥]

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة:٤٢] {إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين} العادلين بكتاب الله العاملين بالرجم . تفسير ابن عباس[٣٦] {إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين} العادلين . تفسيرالنسفي[٣٧]

فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة:٤] (إن الله يحب المتقين)، يقول: إن الله يحب من اتقاه بطاعته، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه. تفسير الطبري[٣٨]

فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات:٩] {إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين} يعنى الذين يعدلون بين الناس . تفسير مقاتل[٣٩]

---

[٣٤] ج٢ص٢١٣ المصدر أعلاه

٣٥ الكتاب: لطائف الاشارات المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) ج٢ص ٩٦

٣٦ الكتاب: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس المؤلف: ينسب لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ) ج١ص١٢٢

٣٧ الكتاب: مدارك التنزيل وحقائق التأويل المؤلف: أبوالبركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ج١ص٢٨٩

٣٨ ج١٤ص١٣٢ ترجم له في ص ١٤

٣٩ الكتاب: تفسير مقاتل المؤلف: مقاتل بن سليمان بن بشير (المتوفى: ١٥٠هـ) ج٣ص٣٥٤

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤] يعنى فى طاعته تفسير مقاتل[٤٠]. {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً} مصطفين صفوفاً كالصلاة، لأنهم إذا اصطفوا مثلاً صفين كان أثبت لهم وأمنع من عدوهم . تفسير الماوردي[٤١]

المبحث الثاني: مكانة المحبة في السنة النبوية الشريفة

فإن من واجبات الإيمان ولوازمه محبة الله تعالى ومحبة رسوله ومحبة عباده المؤمنين ومحبة ما يحبه الله ورسوله من الإيمان والعمل الصالح وتوابع ذلك وبغض ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والمعاصي وبغض أعداء الله من الكفرة والمشركين والعصاة والملحدين فالحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله أوثق عرى الإيمان وأحب الأعمال إلى الله تعالى والمرء مع من أحب يوم القيامة كما وردت السنة بذلك فمحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مقدمة على محبة الأولاد والأموال والنفوس قال الله تعالى:}قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ{[التوبة: ٢٤] أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتوعد من أحب أهله وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه فآثرها أوبعضها على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال التي يحبها الله تعالى ويرضاها كالجهاد والهجرة ونحوذلك. قال ابن كثير رحمه الله تعالى أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم وحتم واجب وفي الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"وفي الصحيحين أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله: والله لأنت

---

٤٠ ج٤ص٥٤ المصدر أعلاه

٤١ ج٤ص٢٦٤ ترجم له في ص ١٤

أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: «لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال: والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: «الآن يا عمر » ومعلوم أن محبة الرسول إنما هي تابعة لمحبة الله جل وعلا لازمة لها فإن الرسول إنما يحب موافقة لمحبة الله له ولأمر الله بمحبته وطاعته واتباعه فمن ادعى محبة النبي بدون متابعته وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى:}وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ {[النور: ٤٧] فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الله ورسوله فإذا كان لا يحصل الإيمان إلا بتقديم محبته صلى الله عليه وسلم على الأنفس والأولاد والآباء والخلق كلهم فما الظن بمحبة الله عز وجل، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم، تقديم محبة الله ورسوله على محبة غيرهما من خصال الإيمان ومن علامات وجود حلاوة الإيمان في القلوب ففي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"قال النووي: معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، قال ابن رجب رحمه الله: ومحبة الله سبحانه على درجتين إحداهما: فرض لازم وهي أن يحب الله سبحانه محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه وبغض ما حرمه عليه ومحبة رسوله المبلغ عنه أمره ونهيه وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضًا كما سبق.

عيد الحب وآثاره

وكما أسلفنا يعتبر عيد الحب من أعياد الرومان الوثنيين، إذ كانت الوثنية سائدة عند الرومان قبل ما يزيد على سبعة عشر قرنا. وهوتعبير في المفهوم الوثني الروماني عن الحب الإلهي. ولهذا العيد الوثني أساطير استمرت عند الرومان، وعند ورثتهم من النصارى، ومن أشهر هذه الأساطير: أن الرومان كانوا يعتقدون

أن (روموليوس) مؤسس مدينة (روما) أرضعته ذات يوم ذئبة فأمدته بالقوة ورجاحة الفكر! فكان الرومان يحتفلون بهذه الحادثة في منتصف شهر فبراير من كل عام احتفالا كبيرا وكان من مراسيمه أن يذبح فيه كلب وعنزة، ويدهن شابان مفتولا العضلات جسميهما بدم الكلب والعنزة، ثم يغسلان الدم باللبن، وبعد ذلك يسير موكب عظيم يكون الشابان في مقدمته يطوف الطرقات. ومع الشابين قطعتان من الجلد يلطخان بهما كل من صادفهما، وكان النساء الروميات يتعرضن لتلك اللطمات مرحبات، لاعتقادهن بأنها تمنع العقم وتشفيه، المصدر مجلة الشهاب السلفية(١٩٤٣) وهذا العيد المشؤم له طرق متعددة للإحتفال به في مجتمعاتنا الإسلامية، وقد إبتلى الله به شباب المسلمين في هذا العصر، لوجود شبكاة التواصل الإجتماعي بينهم، كالفيس بوك والواساب وغيرها من مواقع التواصل الإجتماعي الحديثة، فكانت نتائجه وخيمة على مجتمعاتنا، فنجد أعداد هائلة من الأبناء فاقدي الأبوين الذين إبتلت بهم الأمة، وكان ذلك نتاج طبيعي لهذه العلاقات المشبوهة بين الرجال والنساء على إدعاء الحب، وقتل الحياء في نفوس الفتيات المسلمات، فالإسلام لم يمنع الحب والتقارب بين الناس، بل أنه دين المحبة والسلام والود، يعلم هذه الحقيقة حتى أعداءه، من الذين يتسنون الفرص للطعن على الإسلام، وتشويهه رغبة في الإنقضاض عليه، والإنتقاص من تشريعاته الغراء، لكنه ضبط ذلك بشريعته العادلة، حفاظا على الأنساب، وعلى حقوق الرجل وكرامة المرأة، وحدا حدودا لهذه العلاقة لتتوج بعقد هومن أعظم العقود في الدنيا، يبرم بين رجل وإمرأة، بصداق وشهود وولي، **أما** مَظاهرُ الاحتفالِ بهذا العيدُ البدعيُّ الوثنيُّ شأنُه شأنُ غيرِهِ منَ الأعيادِ منْ حيثُ أَنَّ لَهُ مَظاهرَ يُعبِّرُ فيها النَّاسُ عَنْ بَهجتِهم بهِ وسُرورهم بِقدومهِ ؛ كَما فيما يلي:

١- إرسالُ بطاقاتِ عيدِ الحبِّ، أَوالحلوى للأحبةِ أوالزملاءِ في العملِ.

٢- تَبادُلُ الورودِ الحمراءِ ؛ وإهدائُها ؛ تعبيراً عن الحبِّ الوثنيِّ الذي كان عند الرومانِ لمعبوداتِهم منْ دُونِ الله تعالى.

٣- تَوزيعُ بطاقاتِ التَّهنئةِ، وفي بعضها صورةُ (كيوبيد)، وهوطفلٌ لَهُ جَناحانِ يَحملُ قوساً ونُشَّاباً، وهوإلهُ الحُبِّ عندَ الأمةِ الرُّومانية الوثنيةِ.

٤- تَبادلُ كَلماتِ الحُبِّ والعشقِ والغرامِ في بطاقاتِ التَّهنئةِ الَّتي تكونُ بينهم، والَّتي كَثيراً ما يُكتب فيها عبارة (كُنْ فالنتيناً).

٥- إقامةُ حفلاتٍ مُختلطةٍ راقصةٍ، تُوَزَّعُ فيها الهدايا التذكارية مِنْ الورودِ وصَناديقِ الشوكولاته.

حُكمهُ في ميزانِ الشَّريعةِ:

لا يَرْتابُ مُسلمٌ، عَرَفَ أبجدياتِ دينهِ، وعَلِمَ النَّزرَ اليسيرَ منْ أحكامِ شريعتهِ أَنَّ الاحتفالَ بهذا العيدِ البدعيِّ الوثنيِّ مِنَ المقطوعِ بتحريمِهِ في ميزانِ الشَّريعةِ الإسلاميةِ. وقد أَفتى بذلك جمعٌ مِنْ أهلِ العلمِ بناءً على الأدلة المحكمةِ القطعية منَ الكتابِ والسُّنةِ وإجماعِ سلف الأمةِ، وكانَ منهم (اللَّجنةُ الدَّائِمةُ للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ) في المملكةِ العربيةِ السعوديةِ في فتواها رقم (٢١٢٠٣) [٦] برئاسةِ سماحةِ الشَّيخِ عبدِ العزيز بنِ عبدِ الله بنِ محمد آل الشيخ، وأعضاءِ اللجنةِ: الشَّيخِ صالحِ بنِ فوزان الفوزان، والشيخِ عبدِ الله بنِ عبد الرحمن الغديان، والشيخِ بكر بنِ عبد الله أبوزيد،وهذا هُو نَصُّها مشتملاً على السُّؤالِ والجوابِ:

س: يحتفلُ بعضُ النَّاسِ في اليومِ الرَّابعِ عشر منْ شهرِ فبراير ٢/١٤ مِنْ كُلِّ سنةٍ ميلاديةٍ بيومِ الحبِّ فالنتين داي((day valentine)) ، ويَتهادونَ الورودَ الحمراءَ، ويَلبسونَ اللَّون الأحمرَ، ويُهنِّئُونَ بعضَهم، وتَقومُ بعضُ محلاتِ الحلوياتِ بصنعِ حَلوياتٍ باللَّونِ الأحمرِ، ويُرسمُ عليها قلوبٌ، وتَعملُ بعضُ المحلاتِ إعلاناتٍ على بضائِعها الَّتي تَخصُّ هذا اليومَ فما هورأيكم:

أَولاً: الاحتفالُ بهذا اليومِ ؟

ثانياً: الشِّراءُ منَ المحلاتِ في هذا اليومِ ؟

ثالثاً: بيعُ أصحابِ المحلاتِ (غير المحتفلةِ) لمنْ يحتفلُ ببعض ما يُهدى في هذا اليومِ ؟

ج: دَلَّتِ الأدلةُ الصَّريحةُ مِنَ الكتابِ والسُّنةِ – وعلى ذلكَ أَجمعَ سَلفُ الأُمَّةِ – أَنَّ الأعيادَ في الإسلامِ اثنانِ فقط هما: عيدُ الفطرِ وعيدُ الأضحى، وما عَداهما مِنَ الأعيادِ سواء كانتْ مُتعلِّقةً بِشخصٍ، أوجماعةٍ، أوحَدَثٍ، أوأيِّ معنًى منَ المعاني فهي أعيادٌ مبتدعةٌ لا يجوزُ لأهلِ الإسلام فِعْلُها، ولا إقرارُها، ولا إظهارُ الفَرحِ بها، ولا الإعانةُ عليها بشيءٍ ؛ لأنَّ ذلك مِنْ تَعدِّي حدودِ اللهِ، ومنْ يَتعدَّى حُدودَ اللهِ فقدْ ظَلَمَ نَفْسَه، وإذا انضافَ إلى العيدِ المخترعِ كَونه منْ أعيادِ الكُفَّارِ فَهَذا إِثْمٌ إلى إِثمٍ ؛ لأنَّ في ذلك تَشبُّهاً بهم، ونوعَ موالاةٍ لهم، وقد نَهى اللهُ سُبحانه المؤمنينَ عَنِ التَّشبُّهِ بهم، وعنْ موالاتِهم في كتابِه العزيزِ، وثَبتَ عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فَهُومِنْهم[٤٢]. وَعيدُ الحبِّ هُومنْ جنسِ مَا ذُكِرَ ؛ لأنَّهُ مِنَ الأعيادِ الوثنيةِ النَّصرانيةِ ؛ فلا يَحلُّ لمسلمٍ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أَنْ يَفعلَه، أَوأَنْ يُقرَّهَ، أَوأنْ يُهنئَ، بلِ الواجبُ تَركُه واجتنابُه ؛ استجابةً للهِ ورسولِهِ، وبُعداً عَنْ أَسبابِ سَخطِ اللهِ وعقوبتِه، كَما يَحرمُ على المسلمِ الإعانةُ على هذا العيدِ، أَوغيرِهِ منَ الأعيادِ المحرمةِ بأيِّ شيءٍ منَ أكلٍ أوشربٍ أوبيعٍ أوشراءٍ أوصناعةٍ أوهديةٍ أومراسلةٍ أوإعلانٍ، أَوغيرِ ذلكَ ؛ لأَنَّ ذلكَ كُلَّه منَ التَّعاونِ على الإثمِ والعدوانِ ومعصيةِ اللهِ والرَّسولِ، واللهُ جلَّ وعلا يقولُ:{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[المائدة: ٢]، ويجبُ على المسلمِ الاعتصامُ بالكتابِ والسُّنةِ في جميعِ أحوالِهِ لاسيما في أوقاتِ الفتنِ وكثرةِ الفسادِ، وعليهِ أَنْ

[٤٢] كشف الخفاء ج٢ ص ٢٧٤

يَكونَ فطناً، حَذِراً منَ الوقوعِ في ضَلالاتِ المغضوبِ عليهم والضَّالينَ والفاسقينَ الَّذِين لا يَرجونَ للهِ وقاراً، ولا يَرفعونَ بالإسلامِ رأساً، وعلى المسلمِ أَنْ يَلجأَ إلى اللهِ تعالى بطلبِ هدايتِهِ، والثَّباتِ عليها ؛ فَإِنَّهُ لا هادِيَ إلا اللهُ، ولا مُثَبِّتَ إلا هُوسبحانَه، وباللهِ التَّوفيقُ . وصلَّى اللهُ على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ وسَلَّم.

الخاتمة:

تبيَّن من خلال البحث أنَّ المحبة مفهوم أصيل في الدين، وأنَّ الدين في أصله يقوم على محبة الله ورسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأنَّ هذه المحبة تستوجب الاتباع. وبيَّنا كذلك من خلال الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، أنواع المحبة ومستوياتها، فضلاً عن دعوة الإسلام لإشاعة الحب بين المسلمين، بل وبين غير المسلمين. فالتحابب بين المسلمين يقوِّي وحدتهم، ولغير المسلمين يحببهم للإسلام.

نتائج البحث

توصَّل البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: المحبة أصل الدِّين وبها يكون الاتِّباع.

ثانياً: المحبة تزيد إيمان الفرد وبالتالي يُحْسنُ العملَ والمعاملةَ فيما بينه وبين ربه من جانب، وبينه وبين الناس من جانبٍ ثانٍ.

ثالثاً: المجتمع الذي تشيع فيه المحبة بين أفراده ينعم بالاستقرار والأمن.

المراجع:

١- صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم ٦٧٧٥

٢- صحيح مسلم

٣- الموطأ

٤- التمهيد

٥- لسان العرب

٦- القاموس المحيط

٧- مسند الإمام

٨- مسند الحاكم

٩- الذهبي

١٠- تفسير ابن كثير

١١- تفسير الطبري

١٢- سنن الترمذي

١٣- دواوين الشعر العربي على مر العصور

١٤- أبومحمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، عدد الأجزاء: ٥

١٥- المستدرك على الصحيحين

١٦- أبوالسعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) تفسير أبوالسعود

١٧- مجموعة من العلماء، التفسير الميسر، إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.

١٨- أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تفسير الماوردي، ، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)

١٩- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبوجعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن.

٢٠- جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تفسير الجلالين.

٢١- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، لطائف الاشارات.

٢٢- محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ) (جمع)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس المؤلف: ينسب لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ).

٢٣- أبوالبركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

٢٤- مقاتل بن سليمان بن بشير (المتوفى: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل.

٢٥- كشف الخفاء